مشكلات مصر الاجتماعية — ٢

تحسين الحالة

في الريف ومكمن النهوض (١)

لسعادة فؤاد اباظه باشا

استوقف موضوع الريف في المدة الاخيرة نظر المصلحين والباحثين والحكومات وأجمع الكل على ان شيئاً لا بدَّ ان يعمل . فما هي عاطفة رحمة فقط ولا نوع من الشفقة المطلقة ولكنها المصلحة القومية تسوقنا الى السعي لاصلاح الريف حيث نرجو ان يؤدي التقدم فيه الى بناء حاجز منيع يحول دون تسرب المبادىء والمذاهب المتطرفة التي تشكو منها معظم الامم والتي اصبحت خطراً على كيان العمران ان لم نحسن معالجتها . وقد اختلفت الآراء في ما يلزم عمله في سبيل اصلاح حالة الفلاح — وعند ما أقول اصلاح حالة الفلاح أقصد اصلاح الريف أيضاً إذ يمكنه على الاقل احد عشر مليوناً من الستة عشر مليون مصري ومصرية يشتغلون بالفلاحة في الريف . وفي الريف ترتكز ثروتنا العقارية من زرع وضرع . وكل مصري الجنسية لا ترتبطُ بالريف رابطة القربى ، ولا يمت الى أسرة من أسرة بصلة لا يمكن ان يكون مصرياً صميماً . فاذا تكلمنا عن الحياة الريفية فنحن نتكلم عن مصالحنا ومصالح أسرنا وثروتنا وحيث نرجو ان يؤدي التقدم الى تقدم الهيئة المصرية في مجموعها . وفي الوسع تلخيص العوامل الاساسية للاصلاح فيما يأتي

(١) — تحسين مكمن الفلاح (٢) — تحسين حالته الصحية (٣) — تحسين مستواه التعليمي (٤) — تحسين مياه الشرب (٥) — تحسين حالته المعيشية والاجتماعية والاقتصادية

ان جمع هذه النواحي من حياة الريف لا تدعو حالته في الوقت الحاضر الى الارتياح ولا تزال وجوه الاصلاح تتداولها المباحث الحكومية والاهلية . ويلزم لها تنظيم وسائل الارشاد الزراعي وتوجيه القائمين في دوائر مصلحة الفلاح وتعديل عمل الجمعيات التعاونية والمجالس الزراعية المحلية وغيرها من الانصبة بحيث تتمشى مع حاجة الفلاح وتلافيها . وقد نشأ عن النقص في كل ذلك زهد اهل الريف فيه وهجرتهم منه . وقد ربطت رابطة الاصلاح الاجتماعي مباحثات اليوم عن الريف فكلف ... حسين هيكل باشا عن سبب هجرة الريف الى المدن وعلاجه

(١) ... في دور الريف ... رابطة الاصلاح الاجتماعي ... الزراعية بالمكتبة يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٤٠

وعالج جلال فهم بنشا موضوع توزيع السكان في مناطق القطر المصري وما بذلته الحكومات الاخرى من سعي لتنمية الانتاج الزراعي وبحث محمد علي ناصر بك علاقات المالك والمستأجر. ثم يحاضره الدكتور عبد الواحد الوكيل بك في موضوع « الاصلاح الصحي ثم تليه الآنسة ابنة الشاطىء في موضوع « أو المرأة في الريف

وسأتناول انا موضوع مسكن الفلاح ومعيشته : — فقد هال الجمعية الزراعية الملكية ما يكدره هذا الفلاح من عناء في عمله لا يجد بعده ما يعوّضهُ الراحة في منزله حتى بدأ يهجر الريف الى المدن لما يجده فيها من حياة سهلة تجذبه انوارها ويخدعهُ زخرفها فرأت ان تأخذ بيده في هذه الناحية وان تعمل على اصلاح القرية وتحسينها فشيدت عزبة نموذجية بهتيم قريباً من محطة شبرا افتتحتها في نوفمبر سنة ١٩٣٤ وألحقتها بعزبة اخرى روعيت فيها الشروط الصحية مع الاقتصاد في النفقات ليكون في مقدور الملاك إنشاء مثلها . ثم قامت بعمل ثالث وهو اصلاح قرية قديمة بقدر الامكان وبأقل التكاليف في احدى القرى القائمة على الاراضي الزراعية التي اشترتها الجمعية في بهتيم

وقد أنا ببناء عزبة خاصة لي على اساس تلك النظم في مركز منيا القمح في مديرية الشرقية وكلها تحوم حول تكليف دار الفلاح خمسة وعشرين جنيهاً على أسس صحية ونظيفة تتخللها الطرقات ويسودها حسن المظهر . واني أوجه النظر الى ماوصلت اليه من نتيجة المباحث الكثيرة وهو ان العامل الاساسي في سوء حالة الريف هي قلة المال لاصلاحه

لذلك يجب ان تتجه في اصلاحه الى اقل التكاليف الممكنة وقد خرجت من ذلك بالنصح بالبناء بالطوب النيء — فالبناء به يوفر خمسة اسداس الكلفة

ومن دواعي سروري اني شاهدت بنفسي في ولايتي كاليفورنيا واريزونا في صيف العام الماضي بيوت الفلاحين وبعض مكاتب وزارة الزراعة نفسها وطائفة من الفنادق في المدن بنيت ايضاً بالطوب النيء ونجحت نجاحاً باهراً مما تتصف به هذه المنازل من توفير برودة الجو داخلها في هاتين الولايتين في اثناء الصيف . فالشابهة بينها وبين مصر كبيرة من وجوه متعددة لما فيها من الصحاري والجبال والري وزراعة القطن وحرارة الجو وزراعة النخيل . فذلك كل ذلك مصداقاً لوجهة نظري من سنوات في تفضيل الطوب النيء في بناء العزب والدور في وجه القبلي وما يريد عن النصف الجنوبي من الوجه البحري علاوة على ما ينشأ عن ذلك من توفير التكاليف فيها هو بيت من الحجر او الاسمنت المسلح والطوب الاحمر

ومن رأيي بصفة تقريبية ومبدئياً ان يبدأ الخط الفاصل بين مباني الطوب الاحمر والطوب الاخضر (النيء) من القناطر على قنال السويس مروراً بجنوب مدينة طنطا بالشرقية والسلام بن الدقهلية وبحري محلة روح بالغربية وبحري ابتاي البارود بالبحيرة الى ابو المطامير)

وقد يكون من المعروف ان اوروبي ان البناء بالطوب النيء في كاليفورنيا وما يجاورها يسمى طريقة الـ adobe وبالبحث والتنقيب وجدت ان هذه الكلمة وردت من اسبانيا الى اميركا وسماها الطوب النيء او بعبارة اخرى هي اللفظة الفرنسية للطوب كما كان يسميه العرب من اهل الاندلس فنقلت بالاسبانية الى اميركا كما هي

ويجب ان ندرس موضوع البناء بالطوب النيء دراسة عملية مؤسسة على المعرف والعلم والواقع وامكان التنفيذ اما اذا اطلقنا لخيالنا العنان وطلبنا الملايين من الجنيهات لاصلاح المساكن في الريف فاننا لا نجدها ، وبالتالي ستبقى مساكن الفلاح على ما هي عليه من السوء الى ما شاء الله كما كانت من آلاف السنين اما اذا عالجناها على ما هو في حدود المتناول والامكان من وجهة المصاريف فني وسعنا ان نعمل شيئاً بدلاً من ان نقف جامدين

لذلك رأيت ان ابحث بساطة البناء بالطين من الوجهة المعمارية والهندسية فاتصلت بحضرة صاحب العزة المهندس القدير مصطفى فهمي بك بصفته مهندس جمعية الزراعيه الذي وضع تصميمات مباني الجمعية للمعارض والمزرعة الخ وأشرف على عملية البناء وعلى اتصال عملي مستمر بجهود الجمعية في هذا السبيل فجاءني من عزته الخطاب الآتي بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٤٠

«تشرف بأن ترد لسعادتكم ملف مستندات الطوب النيء الذي تكرمتم بتسليمه لنا للاطلاع عليه وابداء الرأي فيه . ولا يسعنا الا التنويه بتقدم وتطور استعمال الطوب النيء في اميركا ولا شك ان هذا النوع من المباني له اهمية لا تبدو لاول وهلة . وهو يستحق كل درس وتجارب قبل الحكم عليه

«وقد لاحظت من المستندات التي احضرتموها سعادتكم من اميركا ومن نشرات جامعتي كاليفورنيا وكولورادو ان هناك مؤلفات عديدة عن هذا النوع من المباني وانه يستعمل في هاتين المقاطعتين بكثرة لا للمباني الزراعية فقط بل لمباني المساكن ايضاً في القرى والمدن مع توفير ما لجميع الشروط الصحية والانشائية اللازمة وفي بلي يمكن استخلاصه بدقة في هذا النوع :

«ان مباني الطوب النيء التي لا تستعمل في مصر الا في المخازن بطريقة والمخازن والمباني الزراعية فشل فشلاً عادي جداً بحيث لا تتوفر فيها جميع الشروط الصحية والانشائية اللازمة خصوصاً ما كان منها مسكن . ولاشك ان ذلك راجع لعدم توجيه الاهتمام بهذا النوع من المباني خصوصاً من الوجهين الفنيين . وبعد دراسة وابحاث في نتائج هذه الفشل التي وصلت اليها اميركا حتى ولو ادى ذلك لزيادة التكاليف قليلاً في مقابل تحسين المباني من الوجهة الصحية والانشائية . وقد عالجوا في اميركا ذلك بعمل اساسات خرسانية وصفة عازلة للرطوبة واستعمال مادة عازلة للحرارة سواء من الخشب او الحديد وبياض يحوي الصفر من الداخل بجميع اشكاله وبياض للخارج . فاقيم البناء فوقاية الطوب النيء وبذلك ما يجب البحث عنه ودرسته جدياً

لتطبيقه في مصر بما يتمشى مع المقتضيات المحلية . وهناك نقطتان هامتان في هذا الموضوع :—

«اولاً — هل معدن الطوب النيء في اميركا يماثل او يشابه معدن الطوب النيء في مصر ويمكن معرفة ذلك بالاتصال باحدى جامعات اميركا مثل جامعة كاليفورنيا او كولورادو والسؤال عن التحليل الكيماوي والميكانيكي لتربة الارض التي يصنع منها الطوب النيء هناك. ويسهل نفس هذا التحليل في المعمل الكيماوي في مصر لتربة من ارض الجمعية الزراعية ببهتيم مثلاً ومن جهة اخرى مثل اوراق التي يكثر بها قالبن الطوب الاحمر. وربما حتى لو وجد فرق يمكن تلافيه باضافة مواد او ما يشابه ذلك

«ثانياً — ربما كان سبب انتشار مباني الطوب النيء في اميركا راجع لغلو الايدي العاملة ومواد البناء الاخرى بعكس الحاصل في مصر من رخص الايدي العاملة ومواد البناء

«وقد سبق ان قامت الجمعية ببناء عزبة بهتيم بالطوب الاحمر واخرى مماثلة لها بالطوب النيء وبلغت مصاريف الثانية سدس الاولى . ولكن يلاحظ ان العزبة الثانية لا يتوفر فيها ما يتوفر في الاولى من الوجهة الصحية والانشائية من عمل اساسات واسقف متينة وطبقة عازلة للرطوبة وبياض داخلي وخارجي يجعل الطوب النيء يقاوم المؤثرات الجوية ولا يساعد على نمو الحشرات به ويجعل حياة المبنى معادلة لمثيله بالطوب الاحمر . كما هو الحال في اميركا

«فهل لو ادخلت هذه التحسينات تزيد تكاليف الطوب النيء عما يقارب الاحمر او تبقى اقل بدرجة محسوسة . فلو امكن جعل مباني الطوب النيء تتوفر فيها الشروط الصحية والانشائية كما بالطوب الاحمر حتى ولو زادت التكاليف الى ان صارت ربع او ثلث تكاليف الطوب الاحمر بدلاً من السدس لكان ذلك نتيجة باهرة ولأمكن استعمال الطوب النيء في جميع جهات القطر الرطبة والممطرة ولمختلف الاغراض سواء للمباني الزراعية او لمباني السكن

«واني انتهز هذه الفرصة لأذكر لسعادتكم ان من اهم مشكلات الطوب النيء صعوبة نقله لسهولة تفتته وتلفه وكذلك نرى اهالي القرى يحفرون الارض حول قراهم لعمل الطوب النيء مما يسبب وجود الترك والمستنقعات خصوصاً في الوجه البحري لقرب منسوب مياه الرشح من سطح الارض . اما الطوب الاحمر فان الفاخر تكون بجوار الترع والمصارف لاخذ الطينة منها ثم ينقل بعد حرقها لموقع البناء . وهذه المشكلة مرتبطة بمباني الطوب النيء ويستدعي بحثها ايضاً

«وختاماً تمنى لسعادتكم التوفيق في بحث ودرس هذا الموضوع والوصول لنتائج حاسمة قد تغير من حياة الفلاح ومظهر الريف المصري وان تحاط هذه الفكرة الصائبة بكون لسعادتكم الفضل فيها»

والخلاصة ان من العوامل الهامة في تحسين الحالة في الريف هو اعداد المسكن الصالح بفلاح بارخص التكاليف وان جواب التفكير في الاصلاحات التي عممناها وسنعممها عن الريف من وجهاته الصحية والتعليمية والاجتماعية وغيرها تفسد نتائجها اذا ظلت المساكن فاسدة الوضع على حالتها الراهنة ومن رأيي ان نسير كلها معاً جنباً الى جنب ومنا الله جميعاً الى الصواب